المشهد

العدد 350 – السنة الرابعة عشرة - الأربعاء – 15 أبريل 2026 م – 27 شوال 1447 هـ

قالت العرب

لليل سرٌّ يناديني فأنهمرُ .. على الوجود كأني العودُ والوترُ!
أحيا، فتلتفتُ الآفاقُ تشربني .. ولفحة الريح والأشعارُ والسهرُ
أحبُها هذه الدنيا، فأجملها .. ببيتِ شعرٍ كفوح الورد ينتشرُ!

سعيد عقل (١٩١٢ – ٢٠١٤)

عالم الاجتماع المصرى سيد فارس فى حوار لـ المشهد:

المجتمع المصرى ليس قاسيا وإنما أعتبره مجتمعا مأزوما

"الترقى الاجتماعى "يشهد تحوّلًا عميقًا مع تراجع قيمة الاجتهاد وصعود معايير الامتلاك والقدرة على الإنفاق.

هناك طغيان لقيم الثقافة الفردية الوافدة بتأثير تكنولوجيا الاتصالات والثقافة الكونية المهيمنة عالمياً

فقدت الدراسات الأنثروبولوجية فى مصر "زخم الإنطلاق" الذى أسسه الرعيل الأول من الأنثروبولوجيين المصريين.

الهوية الثقافية تواجه تحديات غير مسبوقة فى ظل سيولة عالمية تضغط على خصوصية المجتمعات

فى لحظة تتسارع فيها التحولات الاجتماعية والثقافية على نحو غير مسبوق، يبرز علم الاجتماع والأنثروبولوجيا كأداتين ضروريتين لفهم ما يجرى فى عمق المجتمع المصري، بعيدًا عن الانطباعات السطحية والتفسيرات السهلة. من هنا يأتى هذا الحوار مع عالم الاجتماع المصرى الأستاذ الدكتور سيد فارس، الذى ينشغل برصد التحولات الدقيقة التى تطال بنية القيم، وشكل العلاقات الاجتماعية، ومسارات الهوية فى زمن العولمة والسيولة.

فى هذا الحوار، يفتح فارس ملفات شائكة تبدأ من تراجع زخم الدراسات الأنثروبولوجية فى مصر، مرورًا بتحولات الطبقة الوسطى وصعود النزعة الفردية، وصولًا إلى أزمة الثقة بين النخبة الثقافية والمجتمع، تلك الفجوة التى يراها أحد العوامل التى أفسحت المجال لتيارات فكرية أكثر تشددًا. كما يتوقف عند تأثير الضغوط الاقتصادية على الأسرة، وتغير مفهوم الترقى الاجتماعي، وتحولات هوية الشباب فى ظل هيمنة الثقافة الاستهلاكية.

الاستاذ الدكتور سيد فارس

توثيق التراث الثقافي، وإعادة إنتاجه بطرائق عدة، ونقله إلى الأجيال الجديدة، وسيلة من وسائل مقاومة السيولة ونضوب مصادر تشكيل الهوية.

أحذر من فقدان المجتمع هويته الثقافية والاجتماعية وتلاشى عناصر تراثه الثقافى المتفردة

● **كيف بدأت رحلتك مع علم الاجتماع والأنثروبولوجيا؟**

التحقت بكلية الآداب جامعة القاهرة فرع بنى سويف عام ١٩٩٤. وحصلت على ليسانس الآداب الممتازة بتقدير جيد جداً عام ١٩٩٧. عملت معيداً بقسم الاجتماع (شعبة الأنثروبولوجيا) عام ١٩٩٨، وحصلت على درجة الماجستير بتقدير ممتاز مع التوصية بطباعة الرسالة على نفقة الجامعة وتبادلها مع الجامعات الأخرى. ثم عملت مدرساً مساعداً عام ٢٠٠٣، وكان موضوع رسالة الماجستير: "أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة". حصلت على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطباعة الرسالة على نفقة الجامعة وتبادلها مع الجامعات الأخرى، وكان موضوع الرسالة: الاتصال الثقافى والشخصية: بحث فى الأنثروبولوجيا النفسية لمجتمع الواحات. وعينت مدرساً عام ٢٠٠٦. رقيت إلى درجة أستاذ مساعد عام ٢٠١٧ ، ثم إلى درجة أستاذ عام ٢٠٢٤.

● **حصلت على درجاتك العلمية من جامعتى القاهرة وبنى سويف، كيف أثّرت هاتان البيئتان فى تكوينك الفكري؟**

– هيمنت على التكوين العلمى والتأهيل الأكاديمى لطلاب قسم الاجتماع فى ذلك الوقت مدرستان علميتان: مدرسة جامعة القاهرة السسيولوجية بتياراتها وتنويعاتها، ومن روادها الأستاذ الدكتور أحمد زايد مدير مكتبة الاسكندرية وعالم الاجتماع والمنظر السسيولوجى الأبرز؛ ومدرسة أنثروبولوجية من روادها الأستاذة الدكتورة عليه حسين أستاذة الأنثروبولوجيا المبرزة والباحثة الميدانية الإثنوجرافية المؤثرة فى تطور أنثروبولوجيا مصر. وكانت هذه المدرسة امتدادا لمدرسة الاسكندرية التى كان من أبرز روادها الأستاذ الدكتور أحمد أبوزيد. فهيمن فى بنى سويف تياران مترافقان: التنظير والدراسة الحقلية الإثوجرافية. وكان هذا الترافق دافعاً إلى تجديد نظرى ومنهجى تبدى فى بحوث مدرسة بنى سويف الأنثروبولوجية، وتجلى فى التحرر من ربقة منظور الأنساق والنظرية الوظيفية البنائية التى كبّلت الأنثروبولوجيا المصرية لعقود.

● **كيف ترى تطور الدراسات الأنثروبولوجية فى مصر خلال العقدين الأخيرين؟**

فقدت الدراسات الأنثروبولوجية فى مصر ما يمكن أن نطلق عليه "زخم الإنطلاق". إذ كانت انطلاقة الأنثروبولوجيا قوية بفضل الرعيل الأول من الأنثروبولوجيين المصريين. ثم خف تأثيرها تدريجيا. ولذلك مسببات عدة منها انشغال معظم الباحثين والأساتذة بالعمل والترقى الإدارى داخل الأكاديميا، وإهمالهم الدراسات الحقلية، السمة المميزة للأنثروبولوجيا، والتعاطى مع المشكلات الحياتية الملحة. ينضاف إلى ذلك هيمنة تصور كلاسيكى جامد يتنافر مع تطور الدرس الأنثروبولوجى عالمياً، ويحصر الدراسة الأنثروبولوجية فى مجالات كلاسيكية فيما يعرف بإضفاء الطابع الفولكلورى على الأنثروبولوجيا.

● **كيف تفسر حالة القلق الاجتماعى التى يعيشها جزء كبير من المصريين اليوم من منظور أنثروبولوجي؟**

– القلق الاجتماعى مفهوم فضفاض ومسيباته متعددة من أبرزها انحسار الشعور بالأمن الاقتصادى Economic insecurity بتأثير التوجهات الليبرالية الجديدة وأزمة اقتصادية ظنى أنها مؤقتة نتجاوزها بتواصل العمل الجاد والحكم الرشيد والتخطيط العلمي. إذن انعدام الامن الاقتصادى هو القلق وعدم اليقين الذى تفرزه التوجهات والسياسات والتوجهات الليبرالية الجديدة، وما تخلقه من انعدام الأمن الاقتصادى فى ميادين التوظيف، والرعاية الصحية، والأسرة، والثروة، إضافة إلى ارتفاع معدلات التضخم.

● **هل تغيّرت منظومة القيم فى المجتمع المصرى خلال السنوات الأخيرة؟ وكيف يظهر ذلك فى الحياة اليومية؟**

– تكشف نتائج البحوث الأنثروبولوجية عن تحول من قيم الثقافة الجمعية (المتمركزة حول الجماعة) إلى قيم الثقافة الفردية (المتمركزة حول الفرد)؛ وطغيان قيم الثقافة الفردية الوافدة بتأثير تكنولوجيا الاتصالات والثقافة الكونية المهيمنة عالمياً، والتفاعل بين ما هو محلى وما هو كونى فيما يعرف بالكونمحلية. يتسم الأفراد فى الثقافات الجمعية بالاعتماد المتبادل داخل جماعاتهم كما يحددون، ويوجهون سلوكهم على أساس معايير الجماعة. وتتداخل فى الثقافة الجمعية العلاقات الاجتماعية والثقافة التعبيرية والمشاعر وتترابط. والعلاقات الاجتماعية ، أينما وجدت ، هى مسائل تتعلق بالعاطفة والشعور تماما مثل الرموز والمعانى الاجتماعية. ويتسم الأفراد فى الثقافة الجمعية بالشعور بهوية جمعية موحدة، وتتضاءل لديهم مشكلات الهوية وأعراض الاغتراب. باختصار ، تنحسر قيم الثقافة الجمعية وتأثيرها فى تشكيل الهوية.

● **إلى أى مدى أثّرت الضغوط الاقتصادية على شكل العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة المصرية؟**

– القاعدة أن الأزمة والضغوط الاقتصادية تدفع إلى التحرر من الالتزامات الاجتماعية الخاصة بالدعم والتضامن الاجتماعي، ومنها التكافل داخل سياق الجماعة القرابية. وربما تؤدى إلى ارتفاع معدلات الطلاق.

● **هل نشهد اليوم إعادة تشكيل للطبقة الوسطى فى مصر؟**

– عانى المصريون، قبيل ثورة يناير، ظروفاً معيشية قاسية. وافترس المواطن العادى فقر مدقع (بلغت نسبته حوالي٤٠٪ من السكان). وبلغ الفساد الاقتصادى والسياسى مستويات مرتفعة غير مسبوقة. فقد حقق رجال الأعمال، الداعمون لنظام مبارك، ثراءً فاحشاً، فى حين عانى غالبية المصريين لتوفير ما يسد رمق عائلاتهم. وقد تجاهلت سياسات الحكومة أية تنمية حقيقية فى الخدمات الحيوية كالتعليم والصحة. وتراجع دور مؤسسات الرعاية الاجتماعية. وأفضت السياسات الحكومية إلى ارتفاع معدلات التضخم والبطالة. تأثر غالبية أفراد الطبقة الوسطى المنحسرة والمحتضرة بهذه السياسات، وكذا الفقراء الذين يصارعون للحصول على رغيف الخبز. كانت تلك بداية ما نراه من انحسار للطبقة الوسطى بتأثير السياسات الليبرالية الجديدة.

وبتأثير التغير الاجتماعى تشكلت طبقة وسطى جديدة تتألف من أفراد حاصلين على تعليم عال، ويشعرون بالأمان من الناحية الاقتصادية. والطّبقة الوسطى الجديدة مثل الطبقة العاملة، بعيدة عن ملكية وسائل الإنتاج، لكن على النقيض من الطبقة العاملة، تُمارس الطبقة الوسطى الجديدة قدراً من السيطرة الفعالة على الأصول أو المصادر التنظيمية أو المهارات. وتمتلك الطبقة الوسطى الجديدة، نتيجة لما تتحكم فيه من موارد ولمركزها الاجتماعي، القدرة على لعب دور محورى فى الصراعات الجديدة. وقد انبثقت الحركات الاجتماعية التى قادت ثورة يناير من رحم الطبقة الوسطى الجديدة التى لم تعد تتحدد على أساس القوة الاقتصادية أو السياسية بل على أساس استعراض الرموز الثقافية. كما بات من المتعذر فصل الثقافى عن الاقتصادى حيث تتمازج الثقافة والتجارة معاً، يتضح ذلك بجلاء فى الدور المحورى للإعلان فى الثقافة المعاصرة. والطبقة الوسطى الجديدة مؤهلة للدفاع عن قضايا معينة مثل حقوق المرأة أو الحقوق المدنية.

● **كيف أثّرت التحولات الاقتصادية على مفهوم "الترقى الاجتماعي" لدى الشباب؟**

– يطغى على مفهوم الترقى الاجتماعى اليوم تصور مادى إذ يتراجع الترقى الاجتهادى ويبرز الترقى مدفوع الثمن، من يمتلك قادر على الحصول على تعليم جيد والالتحاق بجامعات خاصة أو أهلية. لذلك يتعين إعادة الاعتبار للترقى الاجتهادى بوسائل منها دعم الجامعات الحكومية والتعليم الحكومى وتخصيص منح دراسية للطلاب المتفوقين وغير ذلك.

● **كيف ترى تحولات هوية الشباب المصرى فى ظل العولمة ووسائل التواصل؟**

– الهاجس الذى يؤرق الباحثون اليوم هو الحفاظ على الهوية فى مواجهة التغيّر السريع. لم تعد الهوية تتشكل وتتبنى وفقاً للإطار التقليدي. لذا يتعرض نشاط الإنتاج الثقافى المعيارى للخطر، خاصة بعد أن صارت الميديا وأساليب الاتصال توفر كثرة من أساليب الحياة الممكنة ونماذج لتوحد الفاعلين الأفراد داخل السياقات المحلية، وتتيح تكوين تصورات ومنظورات لا تماثل التمثيلات وأساليب الحياة المحلية.

إن العولمة المعاصرة، بضغطها للزمان والمكان، وإضفائها الطابع التعددى على عوالم الحياة، قد أوقعت تأثيراً فى "الاجتماعي" و"الثقافي" و"الذاتي" بما يدعم تحولات الهوية.

لقد أضحت الروابط الاجتماعية أكثر ضعفاً. وصارت الهوية أكثر إشكالية بعد تزايد الخيارات المتاحة. وبتأثير النزعة الاستهلاكية، تشكلت مجموعة من الهويات الخيالية. وتشجع الثقافة الشعبية الأجساد المثالية كمواقع لصور الصحة والجمال والموضة التى تتخذ صيغة سلعية. واليوم تجرّد الجماعة، والتنظيم الاجتماعى من مهامه التقليدية: فلم يعودا أبعاد الهوية للذات وقادرين على توفير مجموعة من المعايير والقواعد. ويصير الفرد وحدة منعزلة تبحث دوماً عن أشكال جديدة للتنشئة الاجتماعية، والتى بدلاً من أن توفر الأمن والرفاهية والسعادة، تزيد من الفجوة بين الإنسان والذات، وبين الإنسان والآخر. إنه نسق اجتماعى – برغم خضوعه لوسائل مبتكرة ومتجددة بصورة متزايدة للاتصال بالآخرين، والتفاعل معهم – يولد عدم الارتياح والوحدة، وذلك بصفة أساسية لأنه ابن الفردية المتصلة بالشبكة.

وتتآكل بعنف الأطر التقليدية والجمعية لتشكيل الهوية التى استمرت فى تقييد وكبح اللعب الحر لتشكيل الهوية الشخصية. ومع هذا التآكل حدث انحسار متميز فى السلطة التنظيمية لمجموعات الدور المرتكزة على الطبقة، والنوع، والعرقية، والدين، تاركة الأفراد أحراراً بصورة غير مسبوقة فى صياغة مسارات حياتهم الخاصة. لقد تحرر الأفراد وتخلصوا من الموارد المقيدة، والمحققة للاستقرار مع ذلك، لأشكال الجمعية الملزمة. ولا يعنى ذلك اختفاء الجمعية وتلاشيها من الحياة الاجتماعية فى العقود الأخيرة، ولكن يعنى أن وظيفتها قد تغيرت بصورة واضحة.

● **وما تأثير ذلك على أرض الواقع؟**

– يتمثل الدور، بالغ الأهمية، الذى يؤديه الإنترنت فى تشكيل العلاقات الاجتماعية فى إسهامه فى بناء نموذج جديد للمجتمعية sociability يرتكز على الفردية. وتدريجياً، تنتظم أعداد هائلة من البشر فى شبكات اجتماعية تتواصل عن طريق الكمبيوتر.

وتتنامى فى عوالم ما بعد الحداثة، وما بعد – ما بعد الحداثة، والحداثة السائلة النزعة الفردية وإضفاء الطابع الفردى على العلاقات الاجتماعية. وكان من نتائج ذلك أن اتجه الأفراد إلى تشكيل هوياتهم فى عزلة متزايدة. وعند هذه النقطة تصبح الهوية "خاصة"، وتتحول إلى نوع من التحديد الإجبارى للذات، وينفصل تشكيلها عن كل مسئولية جمعية. ليتحول تشكيل الهوية إلى عبء فردى بحيث تقع مسئولية الخطأ أو الإخفاق على الفرد. ويسود الغموض، والازدواجية، والتناقض، والاحتمالية، وعدم اليقين.

● **من هذا المنظور كيف ترى العالم اليوم؟**

– الحقيقة أننا نعيش اليوم فى عالم معولم من المستهلكين، ومن المحتم أن يؤثر السلوك الاستهلاكى فى كل وجوه حياتنا الأخرى، ومن تلك العمل والحياة الأسرية. كلنا اليوم تحت ضغط أن نستهلك أكثر، وعلى الطريق نصير أنفسنا سلعا فى أسواق الاستهلاك والعمل. ويتغلغل الشكل السلعى ويعيد تشكيل أبعاد الحياة الاجتماعية المستثناة حتى ذلك الحين من منطقه إلى حد تصبح معه الذاتية نفسها سلعة تُشترى وتُباع فى السوق بوصفها جمالاً ونظافة وإخلاصاً واستقلالاً ذاتيا. ويحتاج الاستهلاك إلى مزيد من المال الذى يؤدى إلى تمدية حتى الحب الذى يحتاج إلى سلع تستهلك، ومال يُنفق حتى يُكتسب ويستمر. هذا العالم الاستهلاكى عالم سائل متغير بالساعة أو ربما بالدقيقة. ونحن مطالبون دائما أن نجارى ونستمر. فإن توقفت تركك الزمن، وسارت القافلة وأنت واقف. اللهاث، إذن، من مظاهر العصر الحديث . ويتحول السعى النهم نحو التسوق أيا كان شكله إلى نوع من الإدمان.

ويتسم المجتمع الاستهلاكى الذى تعزز وتضخم مع الرأسمالية ومسار التفريد مع الحداثة بكثرة الفرص، فهناك فرص وخيارات كثيرة متاحة أمام الفرد فى المجتمع. وتؤثر كثرة الفرص والخيارات سلباً على الفرد من عدة نواح، إذ تدخله فى حالة من عدم الانتهاء، وعدم الاكتمال، واللايقين، والقلق.

● **هذا يعنى أن قدرة الفرد على الاستهلاك باتت من المعايير التى تحدد مكانة الفرد فى المجتمع؟**

– لقد صار الاستهلاك أو القدرة على الاستهلاك معيار السواء والمكانة، وهو معيار يخرقه الفقراء والعاطلون. ويفضى ذلك إلى تمييز الفقراء والعاطلين ووسمهم بأنهم غير أسوياء، وبالتالى فإن كفاءة الاستهلاك، لا العمل أو الوظيفة، صارت هى المعيار. إن الفقراء اليوم (أى من يمثلون مشكلة للآخرين) هم، أولاً وقبل كل شيء، مستهلكين، لا عاطلين. وهم يُعرّفون ويُحددون بصفة أساسية بناءً على حقيقة كونهم مستهلكين سيئين: الواقع أن الالتزامات الاجتماعية الأساسية، التى لا يمتثلون لها، تتمثل فى أن يكونوا مشترين نشطاء وفاعلين للسلع والخدمات التى يعرضها السوق. ويعنى ذلك أن أنه إذا كان الاستهلاك فى الأزمنة الحديثة يؤدى وظيفة ثانوية تقارن بالإنتاج، فإنه فى العالم المعاصر تحدد قدرة الشخص على الاستهلاك تكامله الاجتماعى فى مجتمع لم يعد مقصوراً على السياق المحلى، أو المجال الكلى للوجود اليومي، ولكن فى مجتمع ماكرو يتطلب شروط قبول معينة ومحددة. ويمثل القبول مسئولية الفرد الذى يفضل، فى سبيل بناء فرديته، أن يستثمر موارده المادية المتاحة لشراء الوسائل الملائمة للتصنيف، والتحديث، والولوج إلى قائمة البارزين المهمين.

● **كيف يمكن التوفيق بين الحفاظ على التراث والانخراط فى الحداثة؟**

– لقد بات من المقطوع به أن المجتمعات المحلية، عالمياً، تشهد عملية تحول بنائى عميقة، وانفتاحاً غير مسبوق للسياقات الثقافية، وعملية تغير ثقافى هائل. وتتعرض ثقافات المجتمعات المحلية لقوى التجانس والتماثل الكونى وعمليات العولمة الثقافية التى تنخر جسد الثقافات المحلية وتهدد بتقويضها. إذ تضفى العولمة التجانس على الثقافات المحلية، وتفضى إلى تفكيك عوالم الحياة المحلية داخل أبنيتها وسياقاتها المحلية التقليدية..

لقد بلغت عملية تدمير المجتمع المحلى فى المجتمعات النامية ذروتها، على حد تعبير أنتونى جيدنز، إذ تستسلم التقاليد والتراثات التى عاشت ودامت طويلاً لقوى "التفريغ الثقافي" Cultural Evacuation. وقد صارت التقاليد والتراث، فى ظل تفاقم عمليات إضفاء الطابع الكوني، أكثر عرضة لآليات التقويض والإفناء، ومُطالب بتبرير ذاته على الدوام. ويقول جيدنز "إن دوام التقاليد والتراثات وبقائها يكون ممكناً إذا كانت قابلة للتبرير الخطابي، وعلى استعداد للدخول فى حوار مفتوح مع تقاليد وتراثات أخرى، وأساليب بديلة لإنجاز وتحقيق الأشياء". ومن شأن الانتشار الكونى للثقافة الاستهلاكية أن يدمر الأصالة الثقافية، وذلك عن طريق استبدال الأشكال والممارسات الثقافية الزائفة والسطحية والضحلة بالأصيل.

ومع ذلك كان من قبيل المفارقة، أنه فى سياق العولمة المتزايدة، باتت كثرة من الشعوب والمجتمعات المحلية عالمياً تدرك أهمية تراثها الثقافى – سواء المادى أو غير المادى – باعتباره مساهمة فى التنوع الثقافى العالمي. إذ أضحت المجتمعات المحلية فى كل مكان تدرك أن تراثها الثقافي، الهش الضعيف بطبيعته، يؤدى دوراً حاسماً فى الحفاظ على هويتها وإعادة إنتاجها، وتحقيق طفرات فى النمو الاقتصادى والتنمية المستدامة. وأن مشاركتها فى أنشطة إنقاذ هذا التراث يُسهم فى تحقيق استمراريته.

● **هل تعتقد أن المجتمع المصرى أصبح أكثر قسوة؟**

– لا أميل إلى وصف المجتمع المصرى بالقسوة ولكن أعتبره مجتمعا مأزوما يسعي، رغم الأزمة، إلى دعم الفئات الأكثر ضعفا واحتياجا. لقد سلكت مصر منذ تسعينيات القرن الماضى مساراً ليبرالياً جديداً، عزّزه تطبيق برنامج الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى الذى أطلقته الدولة المصرية عام ٢٠١٦. وفى سبيل تخفيف وطأة التوجهات الليبرالية الجديدة، تؤدى الدولة أدوار رعاية وحماية متعددة.

فقد بلغ عدد المستفيدين من كافة أشكال الدعم النقدى عام ٢٠٢٠ (٣،٨) مليون أسرة، وذلك بعد نقل (١،٧) مليون أسرة من معاش الضمان الاجتماعى إلى برنامج تكافل وكرامة. وبالإضافة إلى ذلك أطلقت الوزارة مبادرة "حياة كريمة" بقصد توسيع مظلة الحماية الاجتماعية لتشمل القرى الأكثر احتياجات بما يحقق تلبية احتياجات سكانها المتنوعة (تقرير التنمية البشرية فى مصر، ٢٠٢١: ٢١٠، ١١٢، ١١٦).

ويتجسد أحد أدوار الرعاية فى توفير الدعم الغذائي. والبادى أن دعم السلع الغذائية يرتفع بصورة مستمرة، إذ ارتفع من ١٦،٨ مليار جنيه فى ٢٠٠٩/٢٠١٠ إلى ٨٩ مليار جنيه فى ٢٠١٩/٢٠٢٠. ويستفيد من نظام بطاقات التموين قرابة ٦٩ مليون نسمة، بينما يستفيد ٧٩ مليون نسمة من منظومة دعم رغيف الخبز (تقرير التنمية البشرية فى مصر، ٢٠٢١: ٩٢، ١١٨).

وفيما يتعلق بتوفير الإسكان الاجتماعي، أبدت الدولة حرصاً على تمكين أصحاب الدخول المنخفضة والمتوسطة من الحصول على وحدات سكنية. وقد بلغ عدد المستفيدين من برنامج الإسكان الاجتماعى حتى يونيو من العام ٢٠٢٠ حوالى ٣١٢ ألف مستفيد حصلوا على دعم نقدى من صندوق الإسكان الاجتماعى وصل إلى ٤،٩ مليار جنيه. ويبلغ الإنفاق الحكومى (الوظيفي) على قطاع الإسكان والمرافق المجتمعية حوالى ٦٣،٤ مليار جنيه، ليشكل بذلك ما نسبته ٤٪ من إجمالى الإنفاق الحكومي، و(١٪) من الناتج المحلى الإجمالى (تقرير التنمية البشرية فى مصر، ٢٠٢١: ٥٣، ٧١). وفيما يتعلق بالتعليم، بلغ الإنفاق الحكومى (الوظيفي) على التعليم (قبل الجامعى والعالي) حوالى ١٣٣ مليار جنيه وفقا لموازنة العام المالى ٢٠١٩/٢٠٢٠. وعلى الرغم من ارتفاع الإنفاق الحكومي، فقد شهد تراجعاً خلال الفترة ذاتها كنسبة من جملة الإنفاق الحكومى (من ١٢٪ إلى ٨،٤٪)، وكذا كنسبة من الناتج المحلى الإجمالى (من ٣،٥٪ إلى ٢،١٪) (تقرير التنمية البشرية فى مصر، ٢٠٢١: ٦٣ – ٦٤). وقد أفضى تراجع الإنفاق الحكومى على التعليم إلى مظاهر قصور فى جودة الخدمات التعليمية المقدمة.

برغم ما تسهم به جهود الرعاية والحماية التى تقوم بها الدولة بقصد التخفيف من وطأة التوجهات الليبرالية الجديدة، ثمة حاجة ملحة إلى المزيد بما يحقق الاستقرار المجتمعي.

● **هل فقدت النخبة الثقافية تأثيرها الحقيقى فى المجتمع؟**

– تبدو النخبة الثقافية منفصلة عن واقع الحياة اليومية وهموم المواطن العادى وشواغله. وصارت أكثر انعزالا لأسباب عدة، وقد أفقدها ذلك ثقة المواطنين، وأفسح المجال لتيارات فكرية أكثر تشدداً.

● **إذا طُلب منك وصف المجتمع المصرى اليوم فى جملة واحدة، ماذا تقول؟**

– مجتمع يمر بأزمة، ككثرة غيره من المجتمعات، أتمنى أن تتبدد فى أقرب وقت شريطة أن يسود مناخ من الثقة الاجتماعية والسياسية.

● **إذا كان عليك أن تحذر من خطر اجتماعى واحد يهدد المجتمع المصرى اليوم، ماذا سيكون؟**

– الأزمة الاقتصادية سوف نتجاوزها لا ريب فى ذلك. الأخطر فقدان المجتمع هويته الثقافية والاجتماعية وتلاشى عناصر تراثه الثقافى المتفردة. أخشى أن نفيق من الأزمة ثم يفجعنا تبدد وتلاشى عناصر تراثنا الثقافي. ثمة أشياء يتعذر تعويضها.

● **هل ترى أن المستقبل يحمل استقرارًا اجتماعيًا أم مزيدًا من السيولة والتغير؟**

– مصر جزء من مجتمع كونى سمته السيولة والتغير. وتؤكد تيارات فكرية مثل ما بعد الحداثة على السيولة والمراوغة. خلال العقود القليلة الماضية وقع تحول عميق فى طبيعة الحياة الحديثة، صوّره ثلاثة من المفكرين الاجتماعيين البارزين المعاصرين، وهم زيجمونت باومان، وأولرش بك وأنتونى جيدنز. وقد ارتأوا أنه خلال نصف قرن مضى صار التغير فى اللحظة التاريخية الراهنة العادة الأكثر استقراراً فى حياتنا الفردية والجماعية والعامل الذى يشكل، فى رأى باومان، ثقافتنا اليومية والمعيشة، وبه نواجه الصدمات، وننجح – أو نفشل – فى مواجهة الإخفاقات

فالأشكال الاجتماعية، بمعنى الأبنية التى تحدد الاختيارات الفردية، والمؤسسات التى تضمن دوام العادات وأنماط السلوك المقبول، لم تعد قادرة على الاحتفاظ بشكلها زمناً طويلاً؛ إنها تتحلل وتنصهر بسرعة فائقة. ويتجه العالم نحو مزيد من السرعة والميوعة والتبدل المستمر إلى حد غيّر من طبيعة الإنسان المعاصر الذى لم يعد يحتمل أشكال الثبات والديمومة. الواقع المعاصر تقدّر فيه الحياة أو تمنح قيمة للزائل العابر لا الدائم، والفورى العاجل لا طويل المدى، وتصير الأولوية للفائدة أو المنفعة على أى قيمة أخرى. بتعبير آخر، يُفسح الثابت والدائم الطريق للزائل العابر، وتُفسح الحاجة المجال للرغبة، وتفسح الضرورة الطريق للمنفعة أو الفائدة . وتوسم فوضى العوالم الحياتية عالم اليوم. ويُلاحظ تفسخ الشبكات الاجتماعية، وتهاوى مؤسسات الفعل الجمعى الفعالة، بقدر كبير من القلق غالباً، وقد اعتبرا من الآثار الجانبية للسيولة الجديدة التى تميز القوة المتحركة والزلقة والمتحولة والمراوغة والهائمة بصورة متزايدة. وتمثل الروابط والشبكات الاجتماعية عقبة فى طريق السيولة التى تفرضها وتؤثرها القوى الكونية. وتُقارب الروابط والأواصر والمشاركات كأشياء تُستهلك، لا تُنتج؛ إنها خاضعة لنفس معايير التقييم، تماما كموضوعات الاستهلاك الأخرى. إن توثيق التراث الثقافي، وإعادة إنتاجه بطرائق عدة، ونقله إلى الأجيال الجديدة، وسيلة من وسائل مقاومة السيولة ونضوب مصادر تشكيل الهوية.

حاوره: عبدالكريم الحجراوي

أغلفة كتب الاستاذ الدكتور سيد فارس

انفصال النخبة الثقافية أفقدها ثقة المواطنين وفتح الباب لتيارات متشددة

الضغوط الاقتصادية تؤدى إلى ارتفاع معدلات الطلاق.